المرحلة الأخلاقية

الفصل الخامس

obeikan.com

obeikan.com

● تمهيد :

إن الإنسان فى المرحلة الجمالية، قد ينسى ذاته فى المتناهى، الذى يمثل حدًا كابحًا لذاته، وعنصرًا خارجًا عنها، وذلك لأنّ الفرد الجمالى ـ فى المرحلة الجمالية ـ يحيا فى أحلام رومانتيكية، مرتبطًا بالمباشرة الحسية، ارتباطًا وثيقًا، حيث يطابق ذاته مباشرة مع هذه الأحلام (التى يحيا فيها)، ومن ثم تصبح مقيدة بهذا المتناهى. وعلى ذلك يصير الفرد ـ فى هذه المرحلة ـ عبدًا للصدفة التى ربما تمن عليه بكثير من الفرص، فيمارسها طلبًا للاستمتاع، فى حماسة زائدة.

ومن هنا يشعر الفرد بغربة عن العالم الذى يحيا فيه، بل ويشعر أيضًا بعدم جدوى هذا العالم بالنسبة له. وقد تضيع الذات أيضًا (فى المرحلة الجمالية) فى اللامتناهى، والخيال، والإمكان، حيث يرتبط تفكير الفرد فى هذه المرحلة بالإمكان ارتباطًا وثيقًا، إذ من خلال هذا الفكر، يتخيل الفرد البدائل المختلفة التى يستطيع أن يحققها. غير أن هذا التفكير فى الممكنات، لا يمكن أبدًا أن يختلط بالتحقق الفعلى لهذه الممكنات. معنى هذا، أن الذات فى هذه الحالة تسقط فى الهاوية، ويعانى الفرد من ضياع ذاته فى مجال الممكن. وهنا يصبح هذا الفرد ـ أيضًا ـ غريبًا عن عالم الواقع الذى حرم نفسه منه، حيث يصير هذا العالم بلا مغزى بالنسبة له.

على ذلك، لا توجد فى المرحلة الجمالية بطرفيها المتناقضين، ذات حقيقية. ليس هناك شىء يمنع الفرد من الخضوع طوال حياته لسيطرة الحس والشهوة، ولا توجد ضرورة خارجية تحتم عليه الخروج من هذا المستوى المتدنى إلى مستوى أرفع من الحياة. لكن الضرورة التى تدفعه إلى الانتقال من سيطرة الحس والشهوة، إلى المرحلة الأخلاقية، هى ضرورة تتوقف على نمو الوعى الذاتى عنده [1].

وعندما يصبح الفرد فى المرحلة الأخلاقية، يكون قادرًا على اتخاذ القرار، فإذا كانت السمة الأساسية للمرحلة الجمالية، هى غياب ممارسة حرية الذات فى القرار، فإن السمة الأساسية التى تميز المرحلة الأخلاقية هى انبثاق القرار. وإذا كان

"كيركجور" يرى، أن الزمان هو العملية التى تتحقق بها الإمكانات بالفعل من خلال القرار، فإن تطور الذات ـ الذى يعبر عن قدرتها فى اتخاذ القرار المسئول ـ يمثل خطوة ذات مغزى فى عملية التفرد. لذلك، تعتبر مقولة القرار، مقولة هامة فى المرحلة الأخلاقية، وترجع أهميتها، إلى أنه يوجد عند كيركجور تميز بين مستويين للقرار:

المستوى الأولى: يتضمن ما يطلق عليه كيركجور "اختيار الذات".

المستوى الثانى: وهو حالة أساسية بالنسبة للمستوى الأول، حيث يعبر عن عزم الفرد على الكفاح من أجل تحقيق هدفه الأخلاقى.

ويمثل هذان المستويان للقرار، أساسًا للذات الفردية [2]، حيث إنهما يعبران عن ارتباط مقولة القرار ـ عند كيركجور ـ بمقولة الاختيار التى هى شرط ضرورى لاتخاذ القرار، كما أنهما يمثلان تفسير المرحلة الأخلاقية بوصفها مرحلة يمر من خلالها تطور الذات، وكذلك على أنها نموذج مثالى للشخصية من الممكن رؤية الحياة من خلاله.

معنى هذا، أن للمرحلة الأخلاقية عند كيركجور سمتين هامتين:

السمة الأولى: طبيعة الاختيار الأخلاقى.

السمة الثانية: غاية الحياة الأخلاقية.

وتتعلق السمة الأولى، بصياغة الموقف الأخلاقى للفرد، والسمة الثانية يعتبرها كيركجور الأداة الذاتية لهذا الموقف [3].

❋ ❋ ❋ ❋

1ـ طبيعة الاختيـار

تتركـز الحكمـة الأخلاقيـة الكيركجوريـة، داخـل المبـدأ الفريـد "اخـتر ذاتـك" ChooseThyself، فمـن هـذا المبدأ يتجلى معنى مزدوج للأخلاق عند كيركجور، من حيـث إنهـا مهمـة للفهـم الـذاتى، ومـن حيـث إنهـا مرحلـة للوجـود الإنسانى. ويرسـخ الاختيـار، موضوع التطور الجدلى للروح، وحدوده، بمعنى أن الفرد فى الاختيـار يفهم ذاتـه بوصفها مهمـة أخلاقيـة، والحركـة التامـة للروح من خلال تطور الفهم الذاتى، راجعـة إلى الاختيـار. علـى ذلـك، يعـد الاختيـار مـشكلاً لمهمـة الفهـم الـذاتى، ويعـد موضوعًا لهذه المهمة ذاتها [4].

« يعرف الفرد الأخلاقى ذاته، لكن هذه المعرفة ليست مجرد تأمل ... بل هى تأمل فى ذاته، هى نفسها فعل، وبناء على ذلك، أنى أفضل استخدام تعبير "اختيار الفرد لذاته"، بدلاً من "معرفة الفرد لذاته" [5]

إنـه فـى تعـبير كيركجـور "اخـتر ذاتـك"، تحـديث للتعـبير الـسقراطى "أعـرف نفسك" Knows Thyself، حيث يرى أنه على الإنسان أن يختـار ذاتـه فى شرعية (أو صحة) أبدية [6]. إن الفرد الذى يختـار ذاتـه أخلاقيًا، يختارهـا بطريقـة عينيـة بوصفها هذا الفرد المعين، على هذا النحو يصير واعيًا بذاته.

هكذا نتبين أن اختيـار الفرد لذاتـه، يـرتبط بمعرفتـه لذاتـه، بمعنى أن الـسعى وراء المعرفـة الذاتيـة، هـى سمـة فعـل اختيـار الفـرد لذاتـه، ويـرى كيركجـور، أن هـذه المعرفة، ليـست تأمليـة ولا موضـوعية، لـذلك اسـتخدام تعـبير "اخـتر ذاتـك"، بـدلاً مـن التعبير السقراطى "اعرف نفسك".

والـذات التـى يختارهـا الفرد،تجمـع فـى آن معًـا بـين عـاملين أنطولـوجيين مـن تكوين الذات وهمـا "الواقـع" أي مـا هـو عليـه بالفعـل، و"المثـال" وهـو مـا ينبغـى أن يكـون عليـه. ويتطلـب الـوعى الأخلاقى، الفعـل القـصدى الـذى يـربط بـين هـذين العـاملين. وهـذا

يبرز ما يعنيه كيركجور، بأن، على الفرد أن يختار ذاته فى شرعيتها، أو صحتها الأبدية.

ويعبر الفعل القصدى عن عملية الاهتمام، ولا يستطيع الفرد أن يلغى الاختيار، وذلك عندما ينصب اهتمامه على اختيار ذاته، بمعنى إما أن يختار أن يصير ذاته، أو يختار ألا يكون ذاته. ولكن من أجل أن يصبح الفرد، وجودًا عينيًا أخلاقيًا، يجب أن يدرك أنه، وبمفرده مسئولاً عما يكونه بالفعل، وعما يصير إليه. وتعتمد رؤية "كيركجور"، فى اختيار الفرد لذاته، على تصوره لعينية وجود الذات، فالحركة الأخلاقية ـ كما يتصورها كيركجور ـ ليست فعلاً ذهنيًا، وليست موضوعًا لمعرفة، كيف يمكن أن يحيا الفرد، لكنها بالأحرى نزعة يتكيف فيها الفرد شعورياً وذاتيًا تجاه تحول الذات من المرحلة الجمالية إلى المرحلة الأخلاقية (7).

« ما هى هذه الذات، أو ما هو أنا؟ لو كنت أحتاج إلى تحديد هذا، فسوف تكون إجابتى الأولى، هى أعظم تجريد للأشياء كلها، وفى الوقت ذاته هى أعظم عينية، أنها الحرية » (8)

يرى كيركجور، أن الذات مركبة من اتصال "الواقع" و"الإمكان" خلال الحرية فى لحظة القرار، بمعنى أنها ليست مجرد إمكانية غير مقيدة، وكذلك ليست مجرد مجموعة من الوقائع الطبيعية، بل إنها ذات عينية تجمع بين هذين العاملين، وذلك من خلال تكيف الواقع الفعلى مع الممكنات المنفتحة على الذات. والذات التى يختارها الفرد، هى الحرية، وتبعًا لذلك يجب أن يكون الاختيار، اختيارًا مطلقًا.

« لكن ماذا أختار، هل هذا الشىء أم ذاك؟ لا أنى اختار على نحوٍ مطلق، ومطلق اختيارى يكون واضحًا بحقيقة أنى ليس لدىَّ اختيار أن اختار هذا أو ذاك. أنى اختار المطلق، وما هو المطلق؟ إنه ذاتى فى شرعيتها الأبدية » (9)

يرى كيركجور، أنه لكى يكون الاختيار مطلقًا، يجب أن يختار الفرد ذاته بوصفها عينية بشكل لا متناه. ويتحقق هذا عندما، يتم تصور العامل المتناهى فى الذات، على أنه مطلب لا متناه، وذلك عن طريق علاقته الجدلية بالعامل اللامتناهى.

على ذلك، يجب أن يصبح الفرد مهتمًا بإمكاناته، من أجل تحقيق الاختيار، والقرار، والفعل. وقبل أن يحاول تحقيق هذه الممكنات، يجب أن يضاعف وعيه الذاتى، حتى يستطيع معرفة ما هو عليه بالفعل، وما ينبغى أن يكون عليه، وذلك من خلال قدرته على اتخاذ القرار، الذى يعبر عن تحقيق فعل الاختيار. ومن هنا يصبح كل من القرار والاختيار مقولات أساسية للوجود الأخلاقى. ويؤكد كيركجور، على أنه، يجب على الفرد أن يرجع عملية إدراك الإمكانية التى يريد تحقيقها، إلى الوعى، حتى يمكنه أن يختار اختيارًا وجوديًا روحيًا، يكون وثيق الصلة بتطور شخصيته أخلاقيًا. وبهذا المعنى يصبح الفرد مهتمًا بأن يختار ذاته بشكل مطلق، ذلك لأنه يختار ذاته الخاصة، ولا يختار ذاتًا أخرى.

> **« إنه يختار ذاته، ليس بمعنى متناه (ذلك لأن هذه الذات سوف تكون شيئًا متناهيًا برفقة أشياء أخرى متناهية) ولكن بمعنى مطلق. فى الواقع إنه يختار ذاته، وليس شيئًا آخر، هذه الذات التى يختارها، ذات عينية لا متناهية، تتميز بكل ما فى الكلمة من معنى، عن ذاته السابقة، لأنه قد اختارها بالفعل »** (10)

هكذا يعد اختيار الفرد لذاته، اختيارًا أخلاقيًا، يتعلق بالذات العينية، بوصفها ذاتًا معينة تعينًا وجوديًا. ومن ثم يمثل الاختيار الذاتى، رفضًا واعيًا لسلطة التجريد، ورفضًا لاستقلالية المرحلة الجمالية.

يتم اختيار الفرد لذاته أخلاقيًا، فى حركتين جدليتين:

الحركة الأولى: تعبَّر عن تحقيق إمكانية الاختيار.

الحركة الثانية: تعبر عن عملية اتحاد الوعى، أى اتحاد بين العامل المتناهى فى الذات (المتمثل فى واقعها الفعلى) والعامل اللامتناهى فى الذات (المتمثل فى مطلب الفرد الأخلاقى من خلال فعل الحرية).

* * * *

2ـ جدل الاختيار

يرى "كيركجور"، أن إمكانية الاختيار لا يمكن إلغاؤها، ذلك لأن إلغاءها، يدل على أن الفرد سوف يسمح للآخرين أن يختاروا له، وهذا ما يعرف بالاختيار السلبى، أو الاختيار الزائف الذى يعبر عن سمة اللاوعى للفرد. وتدل عملية اختيار الفرد لذاته الخاصة، التى يكافح من أجل تحقيقها، على أن هذا الفرد لا يجرد ذاته من واقعها الفعلى، بمعنى أن الذات تكون على وعى بذاتها، بوصفها نتاجًا لبيئة معينة طبيعية واجتماعية. وفى هذا، لا يعتقد كيركجور، أن الذات ـ فى عملية اختيار الفرد لذاته ـ لا تشكل ذاتها، وإنما تتشكل عن طريق اللّه.

« إن علمية الاختيار ـ فى هذه الحالة ـ تتم بحركتين جدليتين: فما اختاره ليس موجودًا، ويظهر إلى الوجود، من خلال الاختيار، ومع ذلك فما اختاره يوجد، وإلا لما أمكن أن يكون هناك اختيار، لأنى لو كنت اختار ما لا وجود له، وأظهره إلى الوجود عن طريق عملية الاختيار، لكنت فى هذه الحالة لا اختار بل أخلق، ولكنى لا أخلق ذاتى، بل اختار ذاتى. ومن ثم بينما تكون الطبيعة مخلوقة من العدم، وبينما أنا ذاتى (بوصفى شخصية مباشرة) قد خُلِقت من العدم، فإننى كروح حرة (ذات)، قد ولدت من مبدأ التناقض أو ولدت بحقيقة أنى اختار ذاتى » (11)

تعتبر عملية الاختيار ـ فى هذه المرحلة ـ وسطًا بين معرفة الإنسان لذاته، وبين خلق الإنسان لذاته. فإذا كان من المبالغة أن نقول، إن الذات تخلق ذاتها، فمن التقليل أكثر مما ينبغى أن نطالب الذات بأن تعرف ذاتها فحسب. وكلما تطور الفكر، أصبح الوعى الذاتى متطورًا، بمعنى أنه لابد أن يكون الفرد فى تفكيره الذاتى،

على وعيٍ بذاته، بوصفها نتاجًا لبيئة معينة (طبيعية واجتماعية) [12]. فالفرد فى الاختيار، يختار ذاته بشكل مطلق، لكنه لا يصير بهذا الفعل إنسانًا آخر غير ما كان من قبل، بل تصير ذاته، وعيًا متطورًا، يوجد بين الواقع الفعلى (للذات)، والمطلب الأخلاقى، الذى تريد تحقيقه. من ثم يعد نوع الاختيار، الذى يختار فيه الفرد ذاته، اختيارًا مهتمًا بالصيرورة الذاتية Self becoming، ويتم تحقيقه عن طريق مضاعفة الوعى. وإذا ما فشلت عملية اختيار الفرد لذاته، أو إذا لم تنجح محاولاته فى تحقيق وجهة النظر الأخلاقية عن الحياة، فإن السبب الوحيد لعدم نجاح المحاولة، هو أن الفرد اختار ذاته فى عزلة، أو اختار ذاته على نحو مجرد. بمعنى أن الفرد فى هذه الحالة، لا يختار ذاته على نحو أخلاقى، حيث لم يرتبط بالواقع، لأن من يختار ذاته أخلاقيًا، يختارها بطريقة عينية بوصفها هذا الفرد المعين.

ويمثل اختيار الذات بوصفها عينية، اختيارًا للذات بوصفها حرية، فعندما يختار الفرد ذاته، يظهر فعل الحرية إلى الوجود [13]. ولكن مع ذلك تشتمل هذه الحرية على سمة مجردة، لأن الفرد يكون قد اختار ذاته، بوصفها وجودًا متناهيًا، فى مقابل مطلب أخلاقى لا متناه. بمعنى، أن الفرد، لو يختار ذاته بوصفها إمكان، فإنه يكون قد اختار إمكانية الاختيار فحسب، أى أنه لا يختار ذاته، على أنها ذات عينية (على وجه الخصوص مثلاً كون الفرد سياسيًا، أو موسيقيًا، أو فيلسوفًا، أو رجل اقتصاد)، وإنما يختار ذاته بالمعنى الأكثر تجريدًا للوجود، أى الوجود المتناهى، الذى يصبح فى مواجهة مع الاختيار المطلق المتمثل فى المطلب الأخلاقى اللامتناهى.

لكن عندما يظهر المطلب الأخلاقى، يصير الفرد فى مواجهة الاختيار المطلق، أو الاختيار الذى من خلاله، يختار الفرد الخير أو الشر، أو من خلاله يستبعد الخير أو الشر [14]. وعلى هذا يعتبر الاختيار الأخلاقى، اختيار الاختيار ذاته (اختيارًا عينيًا).

« إن ما يظهر فى كتابى ـ إما ـ أو، هو الأخلاقى، لا يعنى هذا تساؤلاً عن اختيار شىءٍ ما على وجه الخصوص، ولا يعنى أيضًا تساؤلاً عن الحقيقة الواقعية للشىء المختار، وإنما يعنى الحقيقة الواقعية لفعل الاختيار » [15]

إذن، فالفرد يصير حرًا فى أن يختار، إما أن يحيا فى المرحلة الأخلاقية، أو لا؛ لو يختار ألا يحيا فى المرحلة الأخلاقية، يعنى ـ بالنسبة لكيركجور - أنه لديه اختيارًا إلا يصير ذاتًا، اختيار حياة اللامسئولية، بمعنى اختيار ألا يحيا وجودًا عينيًا أصيلاً [16]. لكن الذات بوصفها حرية، تشتمل على وجودٍ يعبر عن حريتها فى اتخاذ القرار. بمعنى أن الفرد الذى يختار ذاته بحرية، لابد أن ينتقل من المرحلة الجمالية إلى المرحلة الأخلاقية. ويعبر الاختيار عن الحرية، التى هى إمكانية عينية للذات. ويرتبط فعل الاختيار، بالوعى الذاتى الملىء بالاهتمام، الذى يجعل الفرد مهتمًا بالتناقض داخل ذاته بين الواقع والمثال، ومن ثم يقوى لديه نوع الاختيار المتعلق بالصيرورة الذاتية، والذى يحقق من خلاله ممكنات ذاته. على ذلك لا يمكن أن يوجد الاهتمام، بدون المعاناة فى الفعل، وبدون الرغبة فيه.

« تعد عاطفة المعاناة أخلاقيًا، عاطفة مهتمة، يتم التعبير عنها خلال التحول الإيجابى لوجود الفرد العينى التام، وذلك فى مطابقة مع موضوع الاهتمام» [17]

هكذا، يختار الفرد ذاته، كما هى معطى له عن طريق البيئة أو المواهب الطبيعية المختلفة ... إلخ، ويدل هذا الاختيار، على أن الذات التى تم اختيارها، كانت موجودة وسابقة على عملية الاختيار، (وفى هذا تأكيد لاعتقاد كيركجور بأن تشكيل الذات يتم عن طريق الله)، وكذلك يؤدى هذا الاختيار، إلى تغيير ذى مغزى فى الذات (نتيجة لهذا الاختيار)، حيث يعبر هذا التغيير عن أهمية الاختيار بالنسبة للفرد.

ولكى يختار الفرد ذاته الخاصة، لابد أن يفهمها أولاً (بوصفها تشمل جميع العناصر المكونة للذات)، ثم يختارها ثانيًا. والاختيار بهذا المعنى، يتضمن قدرة الفرد على أن يصير ذاتًا، أي أن يقر بالمسئولية من أجل هذه الذات. ويرى كيركجور، أن القرار السابق، على فعل ذلك الاختيار، هو ذاته اختيار.

ومن هنا تظهر بوضوح البنية الجدلية للاختيار، فقبل أن يصير الفرد واعيًا بذاته، ويختار ذاته الخاصة ـ من خلال القرار ـ كانت هذه الذات فى حالة

المباشرة. التى تعنى عدم وجود توسط، لا بالفكر، ولا بالقرار، ولكن عندما يتطور الفكر يتم إلغاء المباشرة، إذ تصبح الذات بذلك واعيةً بذاتها، ويصبح القرار ضروريًا لاختيار الذات.

ويرى كيركجور فى ذلك، أن البنية الجدلية للوجود الإنسانى، تأتى إلى الوجود مع الاختيار، فبمقدار ما يكون لدى الفرد فهم لذاته، يستطيع تحقيق البنية الجدلية لوجوده العينى بشكل تام.

معنى هذا، أن اختيار الفرد، يعد اختيارًا مطلقًا، لأنه يدل على اهتمام الفرد الذاتى، الذى يعبر عن مطلبه الأخلاقى، والذى يعتبر السمة المميزة للوجود الإنسانى فى المرحلة الأخلاقية (18).

على ذلك، فإنه لكى يحقق الفرد المطلب الأخلاقى للوجود، لابد أن يصير ذاتًا من خلال كفاحه الدائم، ومن خلال ظهور قدرته على اتخاذ القرار، الذى يؤدى إلى صنع الاختيار المطلق، ومن ثم يتضاعف وعيه الذاتى، وتتحقق فردانيته.

يوضح الاختيار المطلق للذات فى شرعيتها الأبدية، أنه اختيار غير مشروط، يرتبط ارتباطًا وثيقًا باختيار وقائعية الذات، أو تلك الجوانب التى تنتمى إليها بالضرورة، أعنى تلك الجوانب التى لا تخضع لقرارات الفرد الخاصة، لأنها تنتج عن مؤثرات البيئة، ولا يمكن للذات أن تغيرها، بل لابد أن تعترف بها وأن تقبلها.

> **« إن الفرد الذى يختار ذاته أخلاقيًا، يختار ذاته عينيًا، على أنه هذا الفرد المعين، ويحرز هذه العينية، بحقيقة أن فعل الاختيار يتحد فى هوية واحدة مع فعل الندم الذى يجيز الاختيار. هكذا يصبح الفرد واعيًا بذاته، بوصفه هذا الفرد المعين، بهذه المواهب، وهذه الاستعدادات، وهذه الميول، وهذه الانفعالات، متأثر بهذه البيئة المعينة، بوصفه هذا النتاج المعين للبيئة المعينة. لكنّ الوجود الواعى بذاته ـ بهذه الطريقة ـ يفترض المسئولية من أجل هذا كله ... »** (19)

يتصل اختيار الذات أخلاقيًا عند كيركجور، بمعرفة هذه الذات، حيث يرى

أنه من الواجب على الفرد من ناحية، أن يعرف ذاته فى كل تحديداته العينية، ومن ناحية أخرى، لابد أن يدرك الذات المثالية، التى تعبر عن الإمكانية فى ذاته. معنى هذا، أنه يجب على الفرد، معرفة ذاته بوصفها مركبًا من الواقع والمثال. ومن ثم، فالذات التى تعرف لابد أن تختار، فمع اختيار الفرد لذاته تنبثق الذات بوصفها وعيًا ذاتيًا وفردًا مسئولاً، من خلال فعل الحرية (20).

وهنا يظهر المستوى الأول للقرار، الذى يعبِّر عن "اختيار الذات".

يرى كيركجور، أن الفرد الأخلاقى، فى اختيار لذاته، يجب أن يسيطر على وجوده المعطى. وهنا تظهر مفارقة، ذلك لأن الفرد يقبل ـ فى اختياره ـ ما هو مفروض عليه من عوامل خارجية موروثة لا يستطيع الفكاك منها، وإلى جانب ذلك، يعد مسئولاً عن تغيير هذه العوامل. لهذا لابد أن يعرف ذاته، معرفة ذاتية، كافية من أجل اختيار إمكانات، يستطيع من خلالها تغيير هذه العوامل، حتى يمكنه تحقيق وجوده الذاتى الأصيل.

« تعد هذه العينية، حقيقة الفرد، ولكن عندما يختارها فى هوية مع حريته، يستطيع أن يقول إنها إمكاناته أو (بإلغاء تعبير الجمالية) إنها مهمته » (21)

عندما يختار الفرد ذاته، يصبح واعيًا بعامل الضرورة فيها، كذلك يصبح واعيًا بعلاقته الوثيقة بالجنس البشرى، والتاريخ، ومن ثم تعد هذه الذات، ذاتًا مقيدة، بواسطة خصائصها العينية أو الوقائعية، وما تتأثر به من علاقتها بالجنس البشرى. وهكذا تصبح على وعى بضعفها الخاص، وضعف الجنس البشرى الذى كانت عضوًا فيه، ونتاجًا له.

ويعبر هذا الضعف عن الشر، الذى ترتبط به الذات (من خلال وقائعيتها وعلاقتها بالجنس البشرى) والذى يعد جزءًا من عينيتها، ومن ثم تندم عليه. ولهذا السبب يؤكد كيركجور، على أن عملية اختيار الفرد لذاته، تتضمن الندم (22).

يقول كيركجور فى ذلك، على لسان "القاضى فلهلم" وهو يتحدث عن طفله:

« سوف تأتى لحظة فى حياته، تنضج فيها روحه بواسطة الاختيار، عندئذ سوف يختار ذاته، سوف يندم على كل ما ارتكبه من أثم فى حياته. وأنه لجميل من الابن أن يندم على أخطاء أبيه. لكنه لن يفعل هذا من أجلى، بل يفعله من أجل أن يختار ذاته » (23)

لا يستطيع الفرد فى اختياره لذاته، أن يتقبل جوانب معينة من وقائعيات ذاته، ومعطياتها، ويستبعد جوانب أخرى، بل لابد أن يتقبل ذاته فى وجودها العينى بأسره بما فيها من جوانب تدل على الشر. ولا يعد الشر الذى يندم عليه الفرد فى اختياره، نتاجًا لفعله الخاص، وإنما هو شر تعانى منه ذاته نفسها. بمعنى، أن هذا الشر الذى يكمن داخل الذات، هو نتيجة لعوامل تخرج عن سيطرة الفرد، وهو لا يقلل من آلام الفرد عندما يتقبل ذاته وهى فى هذه الحالة.

وهذا القبول، هو الذى يجعل عملية اختيار الفرد لذاته، مسألة على هذا القدر من الصعوبة. وإذا ما فهم الفرد ذاته، على هذا النحو، قبل ذاته، وعندئذ فقط يستطيع أن يسير نحو القرار، الذى يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالاختيار. هذا الاختيار يعد بدوره شرطًا ضروريًا لاتخاذ القرار، وذلك لأن عملية تحقيق إمكانات الذات، مشروطة بواقعها. بمعنى أن الفرد فى تحقيق إمكاناته الذاتية، لابد أن يفهم ذاته، ولابد أن يكون قادرًا على اتخاذ القرار فى أن يصير ذاتًا.

وهنا يبدأ المستوى الثانى للقرار (24)، الذى يعبر عن عزم الفرد على أن يحاول تحقيق تلك الممكنات التى تتناسب مع وجوده الفعلى.

على ذلك، نستطيع إن نقول أن المستوى الأول للقرار، يعبر عن رؤية المرحلة الأخلاقية، بوصفها مرحلة يمر من خلالها تطور الذات، ويعبر المستوى الثانى للقرار عن رؤية المرحلة الأخلاقية، بوصفها نموذجًا مثاليًا للشخصية، من الممكن أن يتم من خلاله رؤية الحياة.

ولكى يحقق الفرد إمكاناته، لابد من وجود مبدإٍ مرشد يسترشد به فى اختياره للإمكانات التى يريد تحقيقها، والتى لا يريد تحقيقها بحيث يفرق بينهما. ويعتبر هذا

المبدأ، مبدأً ضروريًا للفرد الذى يختار ذاته أخلاقيًا، حيث يسعى إلى تجسيده فى حياته، من خلال الالتزامات الأخلاقية، التى ارتبطت بالجنس البشرى بصفةٍ عامة. بمعنى أن الفرد يحاول ـ عن طريق هذا المبدأ ـ أن يصبح الإنسان العام أو الإنسان النموذجى.

« من ينظر إلى حياته نظرةً أخلاقيةً يرى العام، ومن يريد أن يحيا حياة أخلاقية يعبر عن العام فى حياته، بمعنى أنه يجعل ذاته إنسانًا عامًا، لا بأن يغرق فى العينية، لأنه عندئذٍ يصبح "لا شيئًا"، بل بأن ينفذ فى ذاته العام»[25]

❋ ❋ ❋ ❋

obeikan.com

3ـ تحقق الذات

تعبر حركة الانتقال من المرحلة الجمالية، إلى المرحلة الأخلاقية، عن عملية تحقيق الفرد لذاته، فبعد أن كان الفرد فى المرحلة الجمالية، غير قادر على اتخاذ القرار، وحريته مقيدة بعوامل البيئة المحيطة، وبعديد من الإمكانات التى ليس لديه قدرة على تحقيقها، يصبح فى المرحلة الأخلاقية، قادرًا على اتخاذ القرار الذى يعد خطوة هامة فى تأكيد فردانيته، وتحقيق ذاته.

على ذلك، تتحدد مشكلة تحقيق الفرد لذاته، فى أنه لا يستطيع أن يعرف ما يفعله لكى يحقق ذاته، ما لم يكن لديه معرفة أولية عن الواقع الفعلى لهذه الذات، هذا فضلاً عن تحقيق الفرد لذاته، لا يتم إلا من خلال التصميم (العزم)، والاختيار، والقرار، والفعل، التى تعد مقولات أساسية فى المرحلة الأخلاقية.

ويرى كيركجور، أن خروج الذات من حالة الإمكان، إلى التحقق الفعلى فى المرحلة الأخلاقية، يعنى أن تكشف عن نفسها، وأن ترفع قناع التخفى الذى كانت تتستر وراءه فى المرحلة الجمالية [26]. لكن لا يمثل هذا، ماهية الذات التى تتحقق بالتدريج فى المرحلة الأخلاقية، وإنما يعبر عن تحديد الفرد لذاته بذاته، عن طريق الصيرورة التاريخية.

وهنا نلاحظ أن، كشف الذات عن نفسها، يعبر عن معرفة الفرد لذاته، التى تعد ـ عند كيركجور ـ سمة أساسية فى اختيار الفرد لذاته. فعندما يكون للفرد تاريخ، من خلال ممارسته للإرادة، واتخاذ القرار، فإن ذلك يعنى أن الفرد قد بدأ يعرف ذاته [27]. ووفقًا لهذه الرؤية، يستطيع الفرد أن يخلق استمرارية من أجل حياته، كما يستطيع أن يؤثر فى تطورها. فبمقدار ما يكون الفرد مسئولاً عن أفعاله (بالنسبة لصيرورته الذاتية) يستطيع أن يلائم الصفات التى يرثها مع الصفات التى يكتسبها، معتمدًا فى ذلك على الاختيار، بمعنى أنه يستطيع من خلال الاختيار، تحديد ما سوف يكون عليه.

obeikan.com

يرى كيركجور فى ذلك، أن جانب الضرورة فى وجود الفرد، يمثل شرطًا أساسيًا من أجل إمكان حرية الاختيار فى المستقبل. وتوضيحًا لذلك، نجد أنه لكى يكون للفرد، وعى اختيارى، لتحقيق الإمكانات المتعددة الاختيار، يجب أن يسلم بوجوده الماضى (أى العوامل الخارجية التى تؤثر عليه)، ومن ثم يصبح لديه اختيار واستقلال مكتسب. معنى هذا، عندما يصبح للفرد اختيار فى ملاءمة هذه السمات المتراكمة، يصبح قادرًا على تحقيق ذاته، أعنى، تحقيق الممكنات التى تؤدى إلى تطور الذات [28]. ولا يتم تحقيق هذه الممكنات ـ كما يرى كيركجور ـ إلا من خلال الممارسة الحرة للإرادة فى اتخاذ القرار. فالذات تعد إمكانية قبل ظهور القرار الحر، وتتحول من هذه الإمكانية إلى وجودها الفعلى، من خلال القرار المسئول، الذى يتطور فى المرحلة الأخلاقية، والذى يؤدى إلى تفرد الذات وتميزها.

« سوف لا تغير الأخلاق، الفرد إلى إنسان آخر، بل تمجده. إنه لأمر أساسى للإنسان الذى يحيا أخلاقيًا، أن يصبح واعيًا جذريًا بذاته، وأن لا تفلت سمة عرضية منه، هذه الأخلاق العينية، يجب ألا تمحى » [29]

إن تحقيق الفرد لذاته (بمعنى تأكيدها)، يتم بناءً على تطور وعيه الذاتى، وكذلك يتم بناء على قدرة الوعى، على تحويل الذات من حالة الإمكان، إلى حالة الفعل. على ذلك، لابد أن يتصل الوعى بالمثال (التخيل ـ اللغة)، والواقع (المباشرة العينية)، حتى يتسنى له، أن يضاعف واقعية الذات، وذلك عن طريق حالات الوجود، التى تعبر عن فردانية الفرد (الاختيار والحرية، والقرار، والعزم .. إلخ . [30]

ومن ناحية أخرى، يعتبر هذا الوعى، هو العلاقة التى تتصل فيها الذات بذاتها بوصفها مركبًا روحيًا. فالفرد الموجود يظهر لذاته، من خلال نشاطه الفردى، الذى يعبر عن محاولة تحقيق إمكاناته، وهذه المحاولة (لتحقيق الإمكانات) هى العملية التى يصبح فيها الفرد، ما يصير إليه فى حد ذاته، وهى المعانى التى تحقق الذات بها التاريخ. بمعنى أن محاولة تحقيق الممكنات، عن طريق القرار، تعد صيرورة تاريخية للذات، وتشكل الذات ـ فى هذه المحاولة ـ وقائعيتها وتحدد ذاتها.

وتعبر عملية تحقق الفرد لذاته فى المرحلة الأخلاقية، عن اكتشاف ممكنات الذات المثالية، بوصفها الأهداف التى ينبغى أن يكافح الفرد من أجل تحقيقها. وبقدر ما يكافح الفرد لتحقيق هذه الممكنات، يصير إلى اكتمال تحقيق ذاته، ذلك لأن هذه الذات تعتبر ناقصة فى مجال الممكن [31]. وعندما يصير الفرد إلى اكتمال تحقيق ذاته، يكون فى ذلك تأكيداً لفردانيته، ولكن إلى جانب هذا، يرى كيركجور، أن الفرد الأخلاقى يهدف إلى أن يصير فردًا متمثلاً لما هو عام فى الإنسان.

ومن هنا تظهر مفارقة أساسية، فى مفهوم الأخلاق العملية عند كيركجور، وهى أن وجود الفرد فى المرحلة الأخلاقية، يعنى تأكيد فردانيته الفريدة، وفى الوقت ذاته يعبر عن الإنسان العام The Universal Man [32].

« إن واجب الفرد الأخلاقى، يحتم عليه، أن يبعد عن الخفاء، وأن يكشف عن ذاته فى العام، هكذا متى يرغب فى أن يظل فى الخفاء، يأثم، ويقع فى الإغراء، ولا يستطيع أن يخرج منه إلا بالكشف عن ذاته » [33]

يكافح الفرد فى المرحلة الأخلاقية، من أجل بلوغ الغايات الأخلاقية، ويجعل من التصميم أو العزم، أساسًا لهذا الكفاح. ويمثل هذا التصميم أيضًا المركز الذى يتم من خلاله التوحيد بين الأوجه المتعددة للذات، كما أنه يعد أساسًا لمسعى الفرد فى تحقيق الاستمرارية، والمعنى، والتاريخ لصيرورته الذاتية. ويحدد الفرد، خلال هذه الصيرورة، ذاته تدريجيًا تجاه المستقبل، أى تجاه ما هو ممكن، حتى يمكنه تحقيق وجوده الأصيل. بمعنى أن يحقق ذاته المتفردة فى مطلبها الأخلاقى المثالى، الذى يصير عينيًا. معنى هذا، أن العملية الجدلية الدينامية لكفاح الفرد، تعبر عن محاولة الفرد، فى أن يصير ذاتًا، وتعد نشاطًا حاسمًا حافلاً بالتكرار [34]. ويرى كيركجور، أن الفرد، خلال هذه العملية الجدلية للكفاح، يصير ذاتًا مكتملة، حيث تجمع الذات ذاتها، بعد أن كانت مبعثرة ومتعددة فى المرحلة الجمالية، سواء كحزمة من الرغبات المتصارعة، أو كمجموعة من الإمكانات المتعارضة. على ذلك يعد إنجاز وحدة الذات، الغاية العليا بالنسبة للفرد الأخلاقى، فى المرحلة الأخلاقية.

« تكمن منزلة الإنسان الأبدية، فى قدرته على أن يكون له تاريخ، كما يكمن العنصر المقدس (الإلهى) فيه، فى قدرته هو ذاته، إذا أراد أن يضفى على هذا التاريخ اتصالاً، وهو لا يستطيع أن يحقق هذا إلا إذا كان وجوده ليس خلاصة كل ما يحدث له فى حياته، لكن يكون من عمله الخاص. وبتلك الطريقة، يتحول كل ما يحدث له من الضرورة إلى الحرية » (35)

إن انتقال الفرد من المرحلة الجمالية، إلى المرحلة الأخلاقية، لا يعنى أن رغبات الذات قد استبعدت تمامًا، وإنما معنى أن هذه الرغبات قد وضعت فى مكانها المناسب، بحيث لا تعد الذات مخلوقة للرغبة فحسب، بل إن الرغبة تصبح خاضعة تحت سيطرة إرادة الفرد. ولا شك، أن تأكيد الإرادة، يضفى على الممكنات المتصارعة للذات، سمة الاتصال. وفى هذا يؤكد كيركجور، على أن الفرد عندما يكون قادرًا على تأمل ممكناته، فإن كل الأشياء تظهر أمامه ممكنة، بحيث لا يجد شيئًا واقعيًا أمامه.

ومثل هذا الوجود المتخيل، ينتهى بالذات إلى أن تصبح مجرد سراب، لكن عندما يتم تأكيد الإرادة، تفقد إمكانات الذات تعدديتها المتصارعة، وتبدأ فى إبراز شىء من التماسك العام (36).

يبدو من هذا، أن عملية تأكيد الإرادة، تتم من خلال فعل الفرد، الذى يعد بالنسبة لكيركجور ـ السمة الإيجابية التى تتطور باستمرار فى الوعى الأخلاقى، الذى يوحد بين أوجه الذات المتصارعة. ومن ثم يصبح لمصطلح "الفعل" Action المعنى نفسه والاستخدام لمصطلحات مثل:

الاختيار، والندم، واليأس، والقرار، والإرادة تعنى قيمة أخلاقية عند كيركجور. ولا تكمن القيمة الأخلاقية للفعل أو الاختيار فى نتائجه، وإنما تكمن فى أهدافه، أى أنها تكمن فى الشىء الذى من أجله يتم الفعل. على ذلك، نلاحظ أن مفهوم التطور الأخلاقى عند كيركجور، يعبر عن أخلاق التحقيق الذاتى، ولا يعبر عن أخلاق النتائج، كذلك لا يعبر عن أخلاق الواجب. وهذا يرجع إلى أن الفرد، لا يحصل على

obeikan.com

حياة ذات معنى، من خلال هبة مقدمة إليه، وإنما يحصل عليها، من خلال الكفاح، الذى يمثل مهمته الأساسية لتحقيق أهدافه الأخلاقية.

ولتوضيح العلاقة بين مصطلحات الفعل، والاختيار، والإرادة، لابدّ من الوقوف على ملاحظات كيركجور عن "الزواج"، والتى من خلالها، تظهر كيفية إنجاز وحدة الذات (37).

يرى كيركجور، أن الحب فى الزواج يصبح واجبًا، ويعتبر كل منهما فى المرحلة الجمالية متناقضًا، ذلك لأن الفرد يحيا فى المرحلة الجمالية، مستمتعًا برغبة لحظية، وتصبح ذاته مبعثرة فى تعددية رغبات متصارعة، لكن وحدة الذات، تمثل فى المرحلة الأخلاقية، الهدف الذى يكافح من أجله الفرد. على ذلك يعد "الزواج"، اللحظة النموذجية، التى تتحقق فيها وحدة الذات، وذلك من خلال إرادة المحب، فى تحقيق هذا الزواج. ومن ناحية أخرى، يضفى الزواج، المسئولية على الفرد، ومن ثم يتحول الحب إلى واجب، ويصبح تعينًا ذاتيًا.

« لا يكون الحب بالنسبة لى فى جانب، والزواج فى جانب آخر، بل على العكس، إن الواجب يجعل الحب، المناخ الحقيقى، وكذلك يجعل الحب، الواجب مناخًا حقيقيًا، ويكمن الكمال فى هذه الوجوه » (38)

وهنا تظهر العلاقة بين الفعل، والاختيار، والإرادة، من خلال صيرورة الذات، التى تعبر عن انسجام الفرد ذاته بذاته، وبالآخرين، وكيفية اتصال هذه الذات بصيرورتها (39). وتكتسب هذه الصيرورة الذاتية عينيتها عن طريق فعل الحرية، التى يطلق عليها كيركجور "استسلام الاختيار" The Choice of surrender. بمعنى أن الفرد يهتم بالقرار، الذى يمنحه اتصال ذاته بذاته، وذلك عندما يتحول الحب إلى واجب عن طريق الزواج (الذى يعبر عن التزام أخلاقى بصفة عامة).

معنى هذا، أنّ الفرد يؤكد إرادته، من خلال فعل تمييزه لذاته، عن رغباتها فى المرحلة الجمالية، حيث يصبح هذا التمييز أكثر تحديدًا بين الذات، واللاذات، عن

طريق مضاعفة، قدرة وعى الفرد، على تأكيد الإرادة من خلال القرار. ومن ثم يدرك الفرد، أنه لم يكن متأملاً رغباته فحسب، لكنه يستطيع أن يصبح مركز قرار التحديد الذاتى.

ومن ناحية أخرى، يرتبط تأكيد الفرد لإرادته، بتطور معنى الأخلاق، حيث إن تأكيد الإرادة فى المرحلة الأخلاقية، يتم عن طريق معان أخلاقية. فعندما يمارس الفرد إرادته، يصبح وجودًا، تعلم معيار أخلاق مجتمعه، الذى يوجه إرادته نحو الإمكانات، التى تعد أكثر ملاءمة للتحقيق، وكذلك يساعده مجتمعه، فى كيفية السيطرة على الرغبات (40)، ومن ثم يؤكد فردانية ذاته.

وتعبر عملية تأكيد الإرادة، عن أن قدرة الفرد على اتخاذ القرار، تعد عملية جوانية (داخلية)، ذلك لأن الفرد يهتم داخليًا بما هو عليه، وما ينبغى أن يصير إليه.

« حقًا، إن الأخلاقى عظيم الشخصية، يهدف إلى تحقيق ذاته. إنه يكافح ليطور ذاته، بأقصى جهدٍ لقدراته » (41)

يعتقد كيركجور، أن مسئولية الفرد تتعلق بهدفه (أو قصده) الأخلاقى، ولا تتعلق بنتيجة سلوكه (فعله الخارجى). فى الواقع، يجب أن يظل الفرد، فى تمايز عن نتائج قراراته، بحيث يركز انتباهه التام على قصده الداخلى. ومن هنا، تعد الجوانية بالنسبة لكيركجور، المقوم الرئيسى للأخلاق، وتعنى مدخلاً روحيًا للذات، ونوعًا من الاهتمام الاستبطانى لذلك يستلزم عنها تعهدًا جديًا يتعلق بحياة الفرد، واهتمامًا من أجل ما يصير إليه (42). على ذلك، تعد الجوانية (الفعل الداخلى، وليس الفعل الخارجى) هى المكونة للذات، ولا تعتبر حالة للوجود، توحى بمعيار سلوك، من السهل التعرف عليه. معنى هذا، إن الذات تظهر للآخرين فى سلوك واضح المعالم، لكنها تظهر لذاتها بفعل جوانى، يطلق عليه كيركجور:

« حالة وجود الجوانية » (43)

ومن ناحية أخرى، تعد واقعية الفرد الزمانية، نموذجًا لكل حالات الجوانية،

التى تميزها حالات التفرد الانفعالية والإدراكية فى الوجود، وذلك من خلال اتصال الذات ذاتها بذاتها، فى وعيٍ ذاتى مضاعف. ويرى كيركجور فى ذلك أن الوجود الجوانى، الذى يتضمن النشاط القصدى للفرد، يتصل بالزمان اتصالاً محكمًا، بمعنى أن التوترات الثلاثة للزمان (الماضى، والحاضر، والمستقبل)، ترتبط بالنسبة للأخلاقى فى وحدة ذات أهمية كبرى.

« إنك مع قدرتك العظيمة على الملاحظة، بالتأكيد سوف تسلم بأننى دقيق فى صنع الملاحظة العامة. إن الناس منقسمون إلى طبقتين عظيمتين: هؤلاء الذين يحبون غالبًا فى أمل، وأولئك الذين يحبون غالبًا فى ذكرى. وكل من الطبقتين لديهم علاقة خاطئة بالزمان. إن الفرد المتمتع بالصحة، يحيا فى كلٍ من الأمل والذكرى فى الوقت ذاته، وبتلك الوسيلة فحسب تكتسب حياته حقيقة واتصالاً جوهريًا » (44)

تظهر أهمية التوترات الزمانية الثلاثة، بالنسبة للفرد الأخلاقى، من خلال العلاقة المتبادلة بينها، حيث تشكل وحدة غير منفصلة، متصلة مع مركبات الذات. فيتصل الماضى بواقع الذات، ويتصل المستقبل بإمكان الذات، ويتصل الحاضر بلحظة قرار الذات.

ومن ناحية أخرى، توضح القرارات التى يتخذها الفرد فى حاضره، هذه العلاقة، ذلك لأن عملية صنع القرار، ترتبط بماضى الفرد، وتتجه ناحية مستقبله. معنى هذا، أن واقع الذات (الماضى)، يتصل بممكناتها (المستقبل) من خلال القرار (الحاضر). إن العلاقة بين وحدة التوترات الثلاثة للزمان، ومركبات الذات، هى المثال الذى يكافح من أجله الفرد الأخلاقى (45).

« إن التاريخ الداخلى هو فقط التاريخ الحقيقى، لكن التاريخ الحقيقى يتنافس الفرد فيه مع الزمان. إذن، يكتسب الزمانى، وكل لحظة قصيرة، بهذه الحقيقة، واقعًا هائلاً » (46).

وبناءً على هذا الاتصال المحكم، بين التوترات الثلاثة، وبين مركبات الذات

(من خلال ممارسة حالات الجوانية)، تعد ممارسة القلق، أحد الأشكال الرئيسية للجوانية الذاتية عند كيركجور. وللوقوف على العلاقة، بين ممارسة الجوانية للقلق، وعلاقة الذات بالزمان، لابدّ أولا توضيح رؤية كيركجور عن "القلق".

يميز كيركجور بين نوعين للقلق: قلق ذاتى، وقلق موضوعى. القلق الموضوعى يظهر من خلال علاقة الفرد المحكمة بالجنس البشرى، حيث يعبر عن مدى تأثير الجنس البشرى على الفرد. أما القلق الذاتى، فيشير إلى مدى استجابة الفرد لهذا التأثير. فالفرد فى محاولة تحقيق ذاته، لا يبدأ من بداية جديدة، ولكن يجد البداية داخل تاريخ الجنس البشرى، ذلك لأن التاريخ يشتمل على الأفعال الجمعية للأفراد. ومن ناحية أخرى، يتكيف الفرد مع هذه الأفعال، ومن ثم يساهم فى هذا التاريخ.

معنى هذا، أن ما ترثه الذات من وقائعيتها، الناتج عن تأثير البيئة، يعد شرطًا ضروريًا، تتكيف معه الذات فى وجودها، ويعد عاملاً أساسيًا لإسهامها فى تاريخ الجنس البشرى.

ويؤكد كيركجور، على أن التاريخ يساهم فى وجود زيادة كيفية فى القلق الذاتى، الذى ينتج عن القلق الموضوعى. لكن مع ذلك يختلف اهتمام الفرد فى القلق الذاتى، عن اهتمامه فى القلق الموضوعى، حيث إنه لا يهتم بتطور القلق فى الجنس البشرى، لكنه يهتم باكتشاف الطريقة التى تمارس بها الذات القلق [47]. وعندما تمارس الذات القلق، تستجيب لمؤثرات الجنس البشرى، وهذا يؤدى إلى مواجهتها مع العدم، الذى يعتبر موضوعًا للقلق. ويعود الفرد حتميًا إلى ذاته، إلى إمكاناته، وموقفه المتناهى فى العالم، وذلك من خلال استسلامه للقلق، والحياة فيه. وعندما يتواجه الفرد مع القلق، يدرك معنى الإمكانية، ومعنى تناهى وجوده العينى. معنى هذا، أن القلق يتعلق بما يجب أن يصير إليه الفرد، وما يمكن أن يصير إليه [48].

ووفقًا لهذه الخاصية، يظهر تمييزًا آخر بين القلق Dread، والخوف Fear، فالخوف، هو خوف من الكائنات فى العالم، أما القلق، فهو قلق على الذات.

« نادرًا ما نجد علم النفس يدرس مفهوم القلق، ومن هنا لابدّ أن ألفت النظر إلى، أنه يختلف عن الخوف، وعن المفاهيم المتشابهة التى تشير إلى شىء معين أو محدد، لأن القلق هو حقيقة الحرية بوصفها إمكانية الإمكان » (49)

ينظر كيركجور إلى القلق، على أنه إمكانية، حيث يعتبره ـ من وجهة النظر الأخلاقية ـ مواجهة من أجل الخير أو من أجل الشر. بمعنى أنه لا يتصل بأى شىء محدد، وهو نتيجة اللاشىء الفعلى. وهنا يمكن تحديد ممارسة الجوانية للقلق، وعلاقتها بمركب الذات والزمان.

« يوجد فى حالة البراءة، أمن وهدوء، لكن فى الوقت نفسه، يوجد شىء ما مختلف، الذى لا يعد خلافًا ونزاعًا، ذلك لأنه لا يوجد شىء ما يكافح معه، إذن ما هو؟ أنه لا شىء، لكن ما التأثير الذى يقدمه اللاشىء؟ إنه يولد القلق » (50)

يرتبط القلق بثلاث مسائل متصلة هى:

إمكان الذات، ومستقبل الذات، وحرية الذات.

فمن حيث علاقته بالإمكان، يوحى للفرد باهتمامه بوجوده، وممكناته، فضلاً عن أنه "الإمكانية المرعية لقدرة الوجود" (51). على ذلك يكون متصلاً "بعدمية الإمكانية" (52)، كذلك يعد أول انعكاس للإمكانية.

وتتحدد علاقة القلق بالمستقبل، من حيث إنه فى المرحلة الأخلاقية، ربما تتم ممارسته من خلال مسئولية الفرد، من أجل تحقيق إمكاناته. وهذا ما يراه كيركجور بأن القلق هو اليوم التالى.

ويمكن تحديد علاقة القلق بالحرية ـ كما يراها كيركجور ـ فى أن القلق هو "إمكان الحرية" (53)، ومن جهة أخرى، "أن إمكانية الحرية تعلن عن ذاتها فى القلق" (54)، بمعنى أن القلق تتم ممارسته، عندما تواجه الذات حريتها.

ومن هنا يؤكد كيركجور، على أن العلاقة بين بنية الذات، وطبيعة الزمان تقوم على أساس العلاقة بين الإمكان، والمستقبل، والحرية. أى أن هذه العلاقة هى التى تؤدى إلى تحليل مفهوم القلق (55).

فإن كان كيركجور يرى أن هناك ثلاثة مركبات رئيسية للذات، وهى الواقع، والإمكان، والحرية، فإن القلق يظهر كنتيجة إدراك الذات لحريتها فى تحقيق ممكناتها. ويمكن القول أيضًا: أن القلق، يعد نتيجة لوعى الذات، الذى يواجه فى الحاضر، المستقبل تجاه ما تريد تحقيقه بحرية.

وبناءً على ذلك، من الممكن الوصول إلى تحديدات القلق التالية:

يعتبر القلق، المواجهة الذاتية مع مستقبل الذات، حيث يوحد بين ممكناتها المتنوعة، التى يمكن تحقيقها خلال الحرية [56]. والفرد الموجود أخلاقيًا، فى مواجهة تحقيق الإمكانية الذاتية (من أجل الخير أو الشر) يحيا خلال الحرية القلقة. وهذا يمثل شكلاً آخر للجوانية.

❋ ❋ ❋ ❋

obeikan.com

4ـ حدود الرؤية الأخلاقية

يرى كيركجور، أن بؤرة اهتمام الفرد الأخلاقى، تتركز حول ذاته، حيث يهدف إلى تطور وعيه الذاتى أخلاقيًا، كى يحقق ذاته. وفى هذا يلتزم الفرد أخلاقيًا بمبادئ تتجاوز ذاته، يهدف إلى تحقيقها، حتى يستطيع تحقيق ذاتًا أكثر عينية. ولتوضيح هذا، يفترض كيركجور، أن أى فرد يشتمل على إمكانية أن يصير ذاتًا، وهى أساس لوجوده العينى، ومن خلالها يحقق ذاته الأصيلة. واكتشاف هذه الإمكانية، يتم عن طريق قدرة الفرد على فهم ذاته، التى تؤدى إلى اكتشافه للإمكانية فى ذاته. ومن ثم يفترض أن هذه الإمكانية حاضرة فى الآخرين.

إلى جانب هذا، يفترض كيركجور أيضًا، أن الهدف الأساسى للوجود الأخلاقى بوصفه تطورًا للذاتية، يتطلب من الفرد أن يخضع ذاته، إلى المتطلبات العامة الموضوعة بواسطة المجتمع (57).

« يعد الأخلاقى فى حد ذاته العام، وبوصفه العام، يعد الواضح الظاهر، والفرد بوصفه مباشرًا، وبوصفه وجودًا فيزيائيًا ونفسيًا، يعتبر الحجب والإخفاء، على هذا تعد مهمة الأخلاقى، إلغاء الإخفاء، وإظهار ذاته فى العالم » (58)

تتحقق إمكانية الفرد، فى أن يصير ذاتاً، على أساس تطور وعيه الذاتى، الذى يعتمد على علاقته بالعام. ويمكن تحديد هذه العلاقة بين الوعى (عملية الفهم الذاتى للفرد)، والعام (المبادئ الخلقية التى تعلو على الذات، والموضوعة بواسطة المجتمع)، من خلال علاقة الفرد الأخلاقى بالآخر. فالفرد الأخلاقى عن طريق ما هو عام يصير ذاته، والآخر فى نفس الوقت، بحيث تمثل العائلة، "الجنس البشرى" معنى مترادفًا لخلفية وعى الأخلاقى فى فهمه لذاته. على ذلك تعد إمكانات، يتصل من خلالها الوعى بما هو عام (59).

« تكمن المهمة التى يهيئ لها الفرد الأخلاقى ذاته، فى تحويل ذاته إلى إنسان عام » (60)

يرى كيركجور، أنه عندما يصير المطلب الأخلاقى العام، مطلبًا ذاتيًا، يمكن رؤية ما هو عام وجوديًا، وذلك من خلال علاقة العام بذاتية الفرد، وواقعه الخاص، بحيث يصير هذا العام هدفًا أخلاقيًا لكل فرد، ويؤدى إلى مضاعفة وجوده الذاتى. ومن هنا يمثل العام، المعانى التى يصير من خلالها الفرد ذاتًا.

« يعد تحقيق الفرد لذاته، الهدف الذى يكافح من أجله، ومن هنا يعد اهتمامه الأخلاقى، حول أى حقيقة أخرى سوء فهم، ذلك لأن السؤال الوحيد عن الحقيقة التى تتصل بالموضوع الأخلاقى اتصالاً وثيقًا، هو السؤال عن الحقيقة الواقعية الخاصة للفرد » (61)

من هذا المنظور الكيركجورى، يتحدد الهدف الأخلاقى العام للفرد، فى محاولته لتحقيق ذاته أو وجوده العينى الفردى، حيث يدرك عن طريق مضاعفة جوانية وجوده العينى الفريد، ما هو أساسى فى الوجود الإنسانى فى حد ذاته. فالمهمة الأخلاقية بالنسبة للفرد، هى أن يصير ذاتاً، أى أن يختار تحقيق "الذات المثالية"، التى يمتلك من خلالها الإمكانية فى أن يصير إنسانًا عامًا، أو إنسانًا نموذجيًا.

وفى تحقيق الفرد لهذه الإمكانية، يصبح مركبًا من العمومية "Universality" والفردانية Individuality، من العام والخاص.

خلاصة هذا، أن تحقيق الفرد الأخلاقى لما هو عام، يعنى التزامه بتحقيق وعيه الذاتى المثالى فى الوجود، وهذا يستلزم شمولية الأخلاق، التى يعبر عنها كيركجور فى أنها تنطبق على كل فرد، فى كل لحظة.

ومع ذلك، فالعام، الذى يجب أن يرتبط به الفرد فى المرحلة الأخلاقية، ليس هو القانون الأخلاقى العام، الذى يضعه الفكر المجرد، بل هو العام الذى يعبر عنه واقع الإنسان فى حد ذاته. ومن ناحية أخرى، تشتمل فكرة الواجب Duity على الكيفية التى يختار الفرد، عن طريقها ما هو عام (من خلال اختياراته،

وقراراته، وأفعاله).

وفى ذلك يرى كيركجور، أن فعل الواجب، يتطلب معاناة الفرد، وذلك لأن فعله لا يتم من خلال منظور مجرد، وإنما يتم من خلال منظور عينى. وهذا يؤكد على أن طبيعة الواجب، تعبر عن استقلالية الفرد الأخلاقى. أي أن واجب الفرد فى اتباع ما هو عام، ينشأ عن ضرورة واقعية، أكثر من أن يمثل إكراهًا خارجيًا.

ومن هنا، يعد هذا الواجب إلزامًا، لأنه ينتمى إلى مسئولية الفرد تجاه ذاته.

« من الغريب، أن توحى كلمة "الواجب" بعلاقة خارجية، ذلك لأن الأصل الفعلى للكلمة، يشير إلى علاقة داخلية بالنسبة لما هو إلزام لى، ليس لأنى هذا الفرد المحظوظ، ولكن وفقًا لحقيقة طبيعتى. بكل تأكيد، أن الواجب، يشارك فى أعظم علاقة جوانية بذاتى. بمعنى أنه ليس خضوعًا، بل هو التزام » (62).

يرى كيركجور، أن طبيعة الواجب، تنشأ من التزام داخلى، يشير إلى علاقة جوانية، تربط الذات بذاتها (63). وعلى هذا الأساس، يعد اختيار الذات، هو بداية المرحلة الأخلاقية، حيث يتصل بتطور الذات، من خلال واجب الفرد فيما يفعل لتحقيق هذه الذات. ومن هنا يصبح كل من الاختيار، والواجب مكملين لبعضهما جدليًا.

إضافة إلى ذلك، يرى كيركجور، أن الفرد يصبح على علاقة باللّٰه فى المرحلة الأخلاقية، عن طريق التزامه الأخلاقى العام، بمعنى أن علاقة الفرد باللّٰه، هى الهدف الذى يأمن من خلاله أن يظل التزامه الأخلاقى وفيًا لتحقيق مثله. ومع ذلك توجد غاية داخلية، للفرد الأخلاقى، تعبر عن ذاته الخاصة. لكن العلاقة الأخلاقية باللّٰه تنمو عن طريق الواجب الأخلاقى، والالتزام الدينى. معنى هذا، أن الواجب الأخلاقى يصبح مقدسًا.

« إن الأخلاقى هو العام، وفى حد ذاته يعد مقدسًا » (64)

من خلال هذا التفسير، يتضح أن النموذج الأخلاقى للوجود، يفترض، أن الإنسان قادر على فهم التزامه الأخلاقى، ولديه قدرة على تحقيق هذا الالتزام،

وكذلك يتضح أن هذا النموذج يبدأ فى الانحلال فيما يتعلق بالكفاح من أجل تحقيق المثل، ذلك لأن الفرد ـ فى المرحلة الأخلاقية ـ لا ينجح فى تحقيق التوازن داخل ذاته. وعلى ذلك يصبح الطريق مفتوحًا أمام المرحلة الدينية.

ومن هنا يرى كيركجور، أن الذات تتشكل من خلال الله، وهذا يعبر عن نقص الوجود الأخلاقى الذى يسعى إلى تحقيق ذاته الخاصة دون إدراك اعتماده على الله.

❋ ❋ ❋ ❋

obeikan.com

مصادر ومراجع الفصل الخامس

(1) د. إمام عبدالفتاح، كيركجور رائد الوجودية، جـ2 ص 236.

(2) M.C., Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Authorship, P. 136.

(3) J, Collins, The Mind of Kierkegaard, P. 80.

(4) J.W. Elrod, Being and Existence, P. 126.

(5) S, Kierkegaard, Either / or, V. II. P. 263.

(6) Ibid., P. 218.

(7) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 91.

(8) S, Kierkegaard, Either/ or, V. II. P. 218.

(9) Ibid.

(10) Ibid., PP. 219-220.

(11) Ibid.

(12) د. إمام عبدالفتاح، كيركجور رائد الوجودية، جـ2 ص 241.

(13) J.W. Elrod, Being and Existance, P. 133.

(14) S, Kierkegaard, Either / or, V. II. P. 173.

(15) Ibid., P. 180.

(16) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 98.

(17) S, Kierkegaard, Postscript, P. 350.

(18) J.W. Elrod, Being and Existence, P. 137.

(19) S, Kierkegaard, Either / or, V. II. P. 255.

(20) G, Stack, Kierkegaard's Existential ethics, P. 125.

(21) S, Kierkegaard, Either / or, V. II. P. 256.

(22) M.C., Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Authorship,

obeikan.com

P. 195.

(23) S, Kierkegaard, Either / or, V. II. P. 221.

(24) M.C., Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Authorship, P. 196.

(25) S, Kierkegaard, Either / or, V. II. P. 260.

(26) د. إمام عبدالفتاح، كيركجور رائد الوجودية، جـ2 ص 254.

(27) M. C., Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Authorship, PP. 202-203.

(28) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 139.

(29) S, Kierkegaard, Either / or, V. II. PP. 257-258.

(30) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 141.

(31) M, Taylor, Kierkegaard's Pseudonyoums Authorship, P. 202.

(32) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 145.

(33) S, Kierkegaard, Fear and Trembling, P. 91.

(34) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 146.

(35) S, Kierkegaard, Either / or, V. II, PP. 245-246.

(36) M, Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Authorship, P. 205.

(37) Ibid., P. 202.

(38) S, Kierkegaard, Either / or., V. II, P. 150.

(39) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 149.

(40) M, Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Author ship, P. 209.

(41) S, Kierkegaard, Postscript, P. 121.

(42) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 154.

(43) Ibid.

obeikan.com

(44) S, Kierkegaard, Either / or, V. II, PP. 144-145.

(45) M, Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Authorship, PP. 214-215.

(46) S, Kierkegaard, Either / or, V. II, P. 137.

(47) M, Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Authorship, P. 218.

(48) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 156.

(49) S, Kierkegaard, The concept of Dread, P. 33.

(50) Ibid., P. 38.

(51) Ibid., P. 40.

(52) Ibid., P. 69.

(53) Ibid., P. 139.

(54) Ibid., P. 66.

(55) M, Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Aurthoship, P. 221.

(56) Ibid.

(57) G, Stack, Kierkegaard's existential ethics, P. 163.

(58) S, Kierkegaard, Fear and Trembling, P. 91.

(59) Adi Shmuêli, Kierkegaard and Consciousness, PP. 36-37.

(60) S, Kierkegaard, Either / or, V. II, PP. 265-266.

(61) S, Kierkegaard, Postscript, P. 287.

(62) S, Kierkegaard, Either / or, V. II, P. 259.

(63) M, Taylor, Kierkegaard's Pseudonymous Authorship, P. 224.

(64) S, Kierkegaard, Fear and Trembling, P. 78.

obeikan.com